السيدة كاتبة الدولة المكلفة بالتعليم المدرسي

السيد الوزير المنتدب المكلف بالجالية المغربية في الخارج

السيد الرئيس المنتدب لمؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج

السيد رئيس مجلس الجالية المغربية بالخارج

الضيوف الكرام

حضرات السيدات و السادة

أود في البداية أن أتقدم بخالص الشكر والامتنان إلى الأستاذ إدريس اليازمي رئيس مجلس الجالية المغربية بالخارج على دعوته الكريمة لنا من أجل المساهمة في هذه الملتقى الدولي حول"اللغات في الهجرة التحولات والآفاق الجديدة" ، وأود بصفة خاصة أن أهنأه ومن خلاله إدارة المجلس وكافة أعضائه، على هذا الاختيار الموفق لإشكالية اللغة في سياق الهجرة ، كموضوع لندوة دولية مفتوحة للحوار وتبادل الرأي.

نعم إننا نعتبره اختيارا موفقا، أولا من حيث خصوصية موضوعه وراهنيته القصوى، ثانيا من حيث نوعية مقاربته وعمق أسئلته، وثالثا من حيث صيغة التداول بشأنه، التي ارتأيتم أن تكون صيغة ندوة دولية تتلاقح في ظلها الأفكار و التجارب من مختلف الآفاق والمرجعيات، مما يعكس جليا إرادة المغرب في الحوار والتفكير مع شركائه ، وفي استشراف الآفاق مع شركائه، لأن الموضوع يندرج أساسا في صلب الشراكة ، وفي صميم العمل المشترك.

ومما لا شك فيه أنكم في مجلس الجالية المغربية بالخارج، وأنتم تبادرون إلى تنظيم هذه الندوة، كنتم مدركين تمام الإدراك أن موضوعها برهاناته وتشعباته، يتصدر اليوم أكثر من أي وقت مضى مطالب الجالية وأجندة الدولة المغربية على السواء.

بل كنتم مدركين مثل كافة المتدخلين في هذا المجال، كم نحن محتاجون اليوم إلى معرفة أفضل وأكثردقة بالأثر المترتب عن تعليم اللغة العربية لأبنائنا في المهجر، وكم نحن محتاجون اليوم إلى تجديد معرفتنا بنوعية الحاجيات المعبر عنها في هذا المجال، و كم نحن محتاجون اليوم إلى التعرف على أفضل الممارسات الممكن اعتمادها لضمان أجود الملاءمات بين العرض والطلب.

إن هذه المعرفة الملحة، هذه المعرف المتجددة و المتفتحة، هي التي نتوخى تقاسمها اليوم جميعا، مسئولون حكوميون وباحثون وخبراء من خلال هذا اللقاء العلمي الهام.

إننا نعتبر في وزارة التربية الوطنية وفي قطاع التعليم المدرسي بصفة خاصة، أن تعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية لأبناء الجالية المغربية في بلاد المهجر، ليس مجرد برنامج قطاعي يحتاج للتدبير الإداري، وليس مجرد مخطط تنفيذي لاتفاقيات شراكة مع حكومات دول الاستقبال، وليس فقط موارد مالية وبشرية معبأة، أو آليات تنسيقية وتشاورية محكمة، إنه فضلا عن كل ذلك وقبل كل ذلك مشروع تربوي.

مشروع تربوي يحتاج إلى مرجعية مضبوطة وهندسة محكمة، ويحتاج إلى إرساء وتأطير ومتابعة، ويحتاج بصفة أخص إلى انتباه مستدام لكل ابتكار وتجديد في عالم التربية وفي مجال تدريس اللغات، وفي ميدان تفاعل الثقافات.

حضرات السيدات والسادة:

تجسيدا للتوجيهات الملكية السامية ، الرامية إلى النهوض بأوضاع المغاربة المقيمين بالخارج ، يشكل تمدرس أبناء هذه الفئة من الشعب المغربي وتفوقهم الدراسي وحسن اندماجهم، هاجسا لا يقل أهمية عن انشغالات وزارة التربية الوطنية بقضايا التمدرس داخل أرض الوطن.

في هذا السياق يحظى برنامج تعليم اللغة العربية والثقافة المغربية بالخارج بمكانة متميزة في إستراتيجية عمل هذه الوزارة، حيث أنها تتولى إرساء وتتبع الشراكات مع السلطات التربوية بدول المهجر، وتشرف من خلال مديرية التعاون والارتقاء بالتعليم الخصوصي على رئاسة اجتماعات اللجان الثنائية السنوية، المكلفة بمتابعة تنفيذ الاتفاقيات المبرمة بخصوص برامج تعليم اللغة العربية في الخارج.

كما تسهر على تعبئة مواردها البشرية بهذا الخصوص ، حيث تنتقي أجود أطرها التدريسية والتأطيرية وفق معايير بيداغوجية دقيقة لتضعها رهن إشارة برامج تعليم اللغة العربية لأبناء الجالية المغربية في الخارج.

و لا أخفي عليكم أن أهم ما يستوقف الوزارة بنوع من التأني في أداء هذه المهمة النبيلة، هو موضوع إعداد البرامج والمناهج البيداغوجية ، وعيا منها بأن الأمر يحتاج إلى مجهودات استثنائية وإلى خبرة تربوية رفيعة، تماشيا مع خصوصيات الفئات المتلقية ، وانسجاما مع سياقات الاندماج المختلفة.

وبطبيعة الحال فإن الوزارة تسهر على تدبير هذا البرنامج من خلال التنسيق و التشاور مع باقي المتدخلين من القطاعات العمومية، وبانفتاح تام على مختلف مبادرات شركائها الوطنيين والدوليين من اجل الارتقاء بهذا النوع من التعليم.

إن برنامج تعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية لأبناء الجالية المغربية في الخارج، هو على غرار باقي البرامج و المشاريع التي تشرف عليها وزارة التربية الوطنية، برنامج له مرجعيته ومرتكزاته في المبادئ الكبرى للسياسة التعليمية للدولة، والتي نستلهمها أساسا من الميثاق الوطني للتربية والتكوين، خاصة الدعامة الرابعة التي أوصت بأن" **توضع رهن إشارة الجاليات المغربية في الخارج الراغبة في ذلك، الأطر والمرجعيات التعليمية اللازمة لتمكين أبنائها من تعلم اللغة العربية**

والقيم الدينية والخلقية والوطنية، وتاريخ المغرب وجغرافيته وحضارته، مع مراعاة ما يطبعها من تنوع وتكامل "

كما أننا كنا حريصين على تعزيز هذه المرجعية من خلال البرنامج الاستعجالي الذي وضعناه لتسريع وتيرة الإصلاح التربوي؛ والذي أفردنا ضمن مشاريعه السبعة و العشرين، مشروعا خاصا بتعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية لأبناء الجالية المغربية بالمهجر، باعتبارهم ضمن فئة الأطفال ذوي الحاجيات الخاصة.

جدير بالذكر أيضا أننا نستوحي المبادئ التوجيهية لهذا البرنامج من المرجعية الدولية لحقوق الإنسان، حيث نجسد وفاء المغرب بالتزاماته في هذا الشأن، خاصة منها المعاهدات والاتفاقات الدولية ذات الصلة بحقوق الطفل وحقوق المهاجرين المصادق عليها من لدن المغرب.

ومعلوم أن برنامج تعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية لأبناء الجالية المغربية بالخارج هو برنامج تشاركي بامتياز، وذلك باعتباره تجسيدا لاتفاقيات ثنائية موقعة مع حكومات دول الاستقبال، التي تربطها علاقات صداقة وتعاون مع بلادنا.

كما أنه ثمرة عمل مشترك بين وزارة التربية الوطنية ومؤسسة الحسن الثاني للمغاربة المقيمين بالخارج ، بالإضافة إلى وزارة الشؤون الخارجية والتعاون والوزاة المنتدبة المكلفة بالجالية المغربية في الخارج .

حضرات السيدات والسادة:

بعد حوالي ثلاثة عقود من انطلاق البرامج الأولى لتعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية لأبناء الجالية المغربية في المهجر، بدأت تبرز بعض المؤشرات الدالة على اهتزاز الانسجام في التصور العام لهذا النوع من التعليم سواء في أبعاده القانونية أوالتدبيرية أو التربوية.

و الحال أنه كان من المنطقي أن تعتري برنامج استراتيجي من هذا المستوى، عدد من الصعوبات إن لم نقل الاختلالات، بعد فترة زمنية طويلة من إرساء دعائم تطبيقه في دول المهجر.

لقد عرفت بلادنا كما عرفت بلدان الاستقبال، تحولات كبرى في منظوماتها التربوية وسياساتها التعليمية، وشهدت الأوضاع القانونية والسوسيوثقافية للهجرة تحولات جذرية أفرزت أجيال جديدة من أبناء المهاجرين، تختلف بدون شك في نوعية حاجاتها ومتطلبات نجاحها عن الأجيال السابقة عليها.

لعل هذه التحولات المتراكمة على مر السنين، لم تكن تحظى دائما بالعناية الكافية من لدن صانعي القرار من أجل استحضارها في مجال التخطيط والتدبير، سواء من أجل الارتقاء بتعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية في الخارج، أومن أجل التحكم في الإشكالات المترتبة عن توتر العلاقة بين الهوية واللغة، وعن تنوع الرهان بين التعليم النظامي والعرض الخصوصي، وعن اتساع الهوة بين الغايات المعلنة والوسائل المسخرة .

حضرات السيدات والسادة:

عندما انطلقت البرامج الأولى لهذا النوع من التعليم مع منتصف السبعينات، كانت تستند في عدتها ومنطقها على براديغم في غاية الوضوح و الانسجام، وهو تمكين أبناء المهاجرين المغاربة بالخارج من دروس لتعلم اللغة العربية والثقافة الأصلية من أجل تيسير اندماجهم في النظام التعليمي المغربي في حالة عودتهم.

لقد كانت الإقامة في ديار المهجر تعتبر مؤقتة، والعودة إلى أرض الوطن جد واردة، وتعلم اللغة العربية أمر لا مناص منه لتسهيل التمدرس و ضمان حسن الاندماج .

لكن ما أن استقرت أحوال المهاجرين وتبددت آفاق العودة، حتى بدأ المشروع يبحث لنفسه عن غاية أخرى، توفق في صياغة مدلولها، وإن بتنويعات مختلفة باختلاف السياقات والرهانات.

وهكذا أصبحنا أمام تعليم للغة العربية و الثقافة الأصلية يهدف إلى صيانة الهوية الوطنية للأطفال المغاربة، وتوطيد تشبعهم بالقيم الروحية والحضارية لبلادهم مع احترام خصوصيات البلدان المضيفة.

أو تعليم يهدف إلى تمكينهم من التحكم في لغتهم الأم، بما يساعدهم على تحقيق النجاح الدراسي في مشوارهم التعلمي، وتسهيل اندماجهم في الوسط الذي يعيشون فيه.

من البديهي أن هذا التحول في غائية البرنامج كان يستلزم ملاءمة شاملة في هندسته البيداغوجية ومقاربته التعليمية، غير أن التطورات المتسارعة التي كانت

تعرفها النظم التربوية في بلدان الاستقبال لم تكن تسمح بالاستقرار الكافي لمواجهة المعضلات التربوية.

فسرعان ما بدأ البرنامج يصطدم بخصوصيات بعض الأنظمة التعليمية لدى بعض دول المهجر، حيث لا تمتد صلاحيات السلطات التربوية المركزية الموقعة لاتفاقيات الشراكة، إلى مناطق الحكم الذاتي التي تتمركز بها جاليات مغربية ، مما بات يحول دون الانتشارالمجالي لبرنامج تعليم اللغة العربية(مثال ألمانيا، إسبانيا...)، هذا فضلا عن بروز توجهات سياسية معادية للهجرة ورافضة لاستضافة هذا النوع من التعليم في إطار شراكة مؤسساتية.

ثم إن تعدد أنواع التعليم (تعليم مندمج، تعليم مفارق، تعليم غير نظامي موازي) ساهم أكثر في تفكيك الانسجام بين العرض و الطلب، و اتساع الهوة بين الهاجس التربوي و الرهان الهوياتي.

حضرات السيدات والسادة:

لاشك أن تفاعل هذه العوامل كلها أدى إلى إرباك ملحوظ لبرنامج تعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية في الخارج و إلى تقليص مجال انتشاره ، و لاشك أنكم كباحثين وخبراء و مسؤولين إداريين ستنكبون خلال هذه الندوة على دراسة ومناقشة كل هذه التحولات والإشكالات المرتبطة بموضوع لقائنا، وستطرحون خلاصات أبحاثكم وتجاربكم من أجل التبادل واستشراف الآفاق.

غير أني أود أن أشير في هذا السياق إلى أن الوزارة انطلاقا من كل هذه الاعتبارات بادرت إلى فتح حوار صريح مع هيئة التدريس و التأطير بالخارج و

مع كافة المسؤولين الإداريين و الخبراء التربويين و الشركاء الأجانب، من أجل تجديد رؤيتها لهذا البرنامج وتمكينه من نفس جديد لمواصلة تحقيق الأهداف المتوخاة منه.

ومما ساعد الوزارة أكثر على الانخراط في هذه المراجعة الهادئة والمتأنية، ذلك السياق الإيجابي العام الذي اتسم بعدة مراجعات في مجال السياسة العمومية و التوجهات التنموية بالمغرب، والتي تجسدت أساسا في تقرير الخمسينية حول التنمية، وتقرير حالة المنظومة الوطنية للتربية والتكوين وآفاقها 2007، والتقرير الموضوعاتي حول نتائج البرنامج الوطني للتحصيل الدراسي 2008.

لقد شكل إحساسنا في هذه الوزارة بمسؤوليتنا المباشرة في الارتقاء بهذا البرنامج باعتباره مشروعا تربويا قبل كل شيء، حافزا قويا جعلنا نتجه إلى تجديد التفكير عبر جملة من الأولويات أهمها:

أولا: العمل على إدماج هذا المشروع ضمن المسار الإصلاحي و التحديثي للمنظومة التربوية الوطنية في إطار الانفتاح على التوجهات العالمية الجديدة في مجال تدريس اللغات و بيداغوجية التفاعل الثقافي.

ثانيا: إعادة هيكلة برنامج تعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية في الخارج من حيث تدقيق أهدافه التربوية و ملاءمة عدته البيداغوجية وتأهيل موارده البشرية.

ثالثا: الانخراط في تفعيل قرارات اللجنة الوزارية المكلفة بالهجرة المنعقدة تحت رئاسة السيد الوزير الأول بتاريخ 29 أكتوبر 2009، والتي أكدت على جملة

من التوصيات الهامة في مقدمتها إقرار مراجعة شاملة وجذرية للتدبير العمومي لملف تعليم اللغة العربية والثقافة المغربية لأطفال المهجر.

رابعا: اقتراح مقاربة تشاركية لاستئناف الحوار مع شركائنا في دول الاستقبال حول آفاق تعليم اللغة العربية والثقافة الأصلية لأبناء الجالية المغربية في المهجر.

حضرات السيدات والسادة:

أرجو أن تشكل تجربة هذه الوزارة، وكذلك أسئلتها ورؤيتها، رافدا من روافد الحوار في هذا اللقاء العلمي، ومسلكا من مسالك استشراف الآفاق بالنسبة لهذا المشروع المشترك، مشروع تعليم اللغة العربية لأبناء الجالية المغربية في المهجر.

أتمنى لأشغال ندوتكم كامل التوفيق، ولكم جزيل الشكر على حسن الانتباه